عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع*

تأليف

الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)

تحقيق

د. مبارك بن سيف الهاجري **

(*) جاء في "ب": فصل فيه ختم لصحيح الإمام البخاري رحمة الله عليه، تأليف شيخنا حافظ مصر والشام شمس الملة والدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاويّ الشافعي، تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته آمين. قال رحمه الله ونفعنا بعلمه وأعاد من بركاته في الدنيا والآخرة - آمين -: كتاب عمدة القاري والسامع في ختم الصحيح الجامع الملقب تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري.

(**) العميد المساعد للشؤون الطلابية – قسم التفسير والحديث – كلية الشريعة – جامعة الكويت.

ملخص البحث:

لقد قمت بتحقيق كتاب: «عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع للحافظ السخاوي (ت ٩٠٢هـ) رحمه الله "وأوليته عناية تامة وأخرجته إلى المكتبة الإسلامية عن طريق نسختين خطيتين لهذا الكتاب: الأولى من محفوظات دار الكتب المصرية برقم (٣٢٩) حديث، وهي بخط القسطلاني (ت٩٢٣هـ) أحد تلامذة السخاوي، وهذه اعتبرتها أصلاً في التحقيق. والثانية: من محفوظات مكتبة تشستربتي بدبلن/ إيرلندا، وهي بخط البلبيسي (ت ٩٣٧هـ) وهو أيضاً من تلامذة السخاوي مؤلف الكتاب.

وقد سلكت أصول المنهج العلمي الأصيل في تحقيق المخطوطات والعناية بها، من حيث مقابلة نسخها الخطية، وإثبات الفروقات بينها، وتوثيق المعلومات الواردة فيها، وتخريج الأحاديث والآثار المذكورة فيها، مع التعليق العلمي المناسب، وعملت فهرساً للموضوعات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

وكتاب السخاوي هذا يعتبر من المصنفات المعروفة «بكتب الختم»، وهي التي تشتمل على مجلس علمي أو أكثر يبين فيه العالم منهج الكتاب الذي كانوا يقرؤون فيه، ولا يخلو ذلك من لطائف ونكات علمية، وبيان لسيرة ذلك الإمام صاحب الأصل المقروء.

والسخاوي رحمه الله ألف عدداً من كتب الختم تعنى ببعض المصنفات الحديثية: كصحيح مسلم، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجة، وغيرها.

وكتابنا هذا، أعني «عمدة القاريء» خصه السخاوي بالجامع الصحيح للبخاري، وقد تعرض فيه لمسائل عدة من أبرزها:

١ – بيان إمامة البخاري – رحمه الله – في الحديث، والفقه، وزهده، وورعه.

٢ – نبذة عن الجامع الصحيح للبخاري، وترجيحه على غيره من الكتب المؤلفة في الحديث.

٣ – موازنة بين صحيحي البخاري ومسلم، ترجيح صحيح البخاري عليه.

٤ – وتعرض لبيان مكانة البخاري في الحديث والفقه وعلم اللغة، وأنه وافق في

جامعه الشافعي – رحمه الله – لكنه – أي البخاري – مجتهد، وليس بشافعي المذهب.

٥ – ساق السخاوي إسناده إلى البخاري في آخر حديث من صحيح البخاري وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم».

٦ – شرح السخاوي هذا الحديث، وهو آخر حديث من صحيح البخاري، وقد تعرض خلال ذلك لعدة مسائل:

أ – ترجم لرجال إسناد البخاري لهذا الحديث، وقد توسع في الترجمة للصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه، ذاكراً اسمه، وسبب تكنيته، وأنه أكثر الصحابة رواية للحديث، والسبب في ذلك دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بالحفظ.

ب – معنى: «سبحان الله، وأن اسم الله الأعظم هو الله».

جـ – معنى «العظيم»، والنكتة في ختم هذا الحديث بالعظيم.

٧ – وغير ذلك من الفوائد الكثيرة التي تعرض لها السخاوي في كتابه هذا، مع كثرة إيراده للروايات من الأحاديث والآثار التي تتعلق بما يورده من مسائل، وقد قمت بالتعليق على ذلك كله، مما أسهم في خدمة الكتاب وإظهاره في الصورة التي أرادها مؤلف الكتاب نفسه.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، و أشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله.

أما بعد؛

فقد كثرت مصنفات أهل العلم حول كتب الحديث المشهورة كصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل رحمهم الله جميعا، وقد تنوعت تلك التصانيف من شرح للغريب الوارد في تلك الكتب، أو في ترتيبها ومناسبة تراجم أبوابها، أو في تراجم رواتها، وهكذا.

وهناك نوع من المصنفات حول تلك الأصول، عرفت بكتب الختم، والختم مجلس أو أكثر يبين فيه مصنفه منهج الكتاب الذي كانوا يقرؤون فيه، ولا يخلو الختم من لطائف ونكات علمية، وبيان لسيرة ذلك الإمام صاحب الأصل المقروء، فهذا النوع من المصنفات يعتبر خلاصة الاستقراء لتلك الكتب.

وممن حمل لواء التصنيف في هذا النوع من الفنون: الحافظ السخاوي رحمه الله، حيث أثرى المكتبة الإسلامية بثلاثة عشر كتابا من كتب الختم، وهي:

١ - عمدة القاري و السامع في ختم الصحيح الجامع - وهو بين يديك[١]

٢ - غنية المحتاج في ختم صحيح مسلم بن الحجاج.

٣ - بذل المجهود في ختم السنن لأبي داود.

٤ - اللفظ النافع في ختم كتاب الترمذي الجامع.

٥ - القول المعتبر في ختم النسائي رواية ابن الأحمر.

---

(١) هذا البحث مدعوم من قبل إدارة الأبحاث بجامعة الكويت، حيث قامت مشكورة بتمويل هذا البحث تحت مشروع رقم (HH043).

٦ – بغية الراغب المتمني في ختم النسائي رواية ابن السني.

٧ – عجالة الضرورة و الحاجة عند ختم السنن لابن ماجه.

٨ – القول المرتقي في ختم دلائل النبوة للبيهقي.

٩ – الانتهاض في ختم الشفا لعياض.

١٠– الرياض في ختم الشفا لعياض.

١١– الإلمام في ختم السيرة النبوية لابن هشام.

١٢– رفع الإلباس في ختم السيرة لابن سيد الناس.

١٣– الجوهرة المزهرة في ختم التنكرة.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا خصه السخاوي لختم (صحيح البخاري)، وقد رأيت تقسيم العمل في تحقيقه إلى قسمين:

القسم الأول:

ويشتمل على:

١ – ترجمة موجزة للسخاوي رحمه الله.

٢ – النسخ المعتمدة في التحقيق.

٣ – اسم الكتاب و توثيق نسبته إلى المؤلف.

٤ – مادة الكتاب العلمية.

٥ – منهج تحقيق الكتاب.

٦ – صور من النسخ الخطية للكتاب.

القسم الثاني:

نص الكتاب وتحقيقه، والتعليق عليه.

و ألحقت به:

١ – قائمة المصادر و المراجع.

٢ – فهرس الموضوعات: وهو يشتمل على عناوين المباحث التي تعرض لها السخاوي في كتابه هذا، و قد فضلت الإشارة إلى تلك العناوين في فهرس خاص دون إدراجها في أصل الكتاب، حفاظا على الأصل كما وضعه مصنفه.

القسم الأول

١- ترجمة موجزة للسخاوي رحمه الله.

اسمه ونسبه ولقبه و كنيته:

هو العلامة الرحالة الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، شمس الدين، أبو الخير، وأبو عبد الله، السخاوي الأصل، القاهري مولدا، الشافعي.

مولده ونشاته:

ولد في ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمئة بحارة بهاء الدين، علو الدرب المجاور لمدرسة شيخ الإسلام البلقيني بالقاهرة، محل أبيه وجده.

التحق صغيرا بالمكتب عند المؤدب الشريف عيسى المقسي، ثم تفقه على زوج أخته الصالح الأزهري، فقرأ عنده القرآن، وصلى بالناس بالتراويح في رمضان، ثم توجه به أبوه إلى الفقيه المجاور محمد بن أحمد النحريري الضرير، ثم توجه إلى الفقيه محمد بن عمر الطباخ، وحفظ عنده بعض عمدة الأحكام، ثم أكمل حفظها عند العلامة الشهاب ابن أسد، كما حفظ التنبيه، والمنهاج، و ألفية بن مالك، والنخبة، وألفية العراقي، وغالب الشاطبية، وغير ذلك.

رحلاته:

كان الإمام السخاوي رحمه الله واسع الرحلة، فقد طوف كثيرا من البلدان منها: حلب، ودمشق، وبيت المقدس، والخليل، ونابلس، والرملة، وحماة، وبعلبك، وحمص، وغير ذلك من البلدان والقرى.

وقد سجل رحمه الله غالب رحلاته العلمية التي قام بها، نحو: الرحلة المكية، والرحلة السكندرية، والبلدانيات العليات، وغير ذلك من كتبه التي لا تخلو من نكر نكت وفوائد حول ما أخذ و تحمل عن شيوخه، الذين بلغ عددهم فوق الألف ومئتين شيخا.

عمله:

عمل مدرسا في المدرسة الصرغتمشية بالقاهرة، والمدرسة البرقوقية، ومدرسة السلطان أشرف في مكة، والمدرسة الكاملية.

ثناء العلماء عليه:

* قال جار الله بن فهد: "لم أر في الحفاظ المتأخرين مثله"[1]

* و قال الشوكاني: "فهو من الأئمة الأكابر"[2]

و الثناء عليه كثير من العامة و الخاصة بل إن السخاوي رحمه الله أفرد بالتصنيف كتابا سماه: "من أثنى عليه من العلماء و الأقران..."، ولعله أفرد ذلك لما كان بينه وبين عصريه السيوطي رحمهما الله.

من شيوخه:

١ - الحافظ أحمد بن علي بن حجر.

٢ - الشريف عيسى بن أحمد المقسي.

٣ - محمد بن عمر الطباخ

من تلاميذه:

١ - أحمد بن الحسين بن محمد المكي.

٢ - محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني.

٣ - شمس الدين محمد بن إبراهيم الشافعي.

مصنفاته:

كثيرة جدا، من أشهرها:

١ - الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.

٢ - فتح المغيث شرح ألفية الحديث.

---

(١) تاريخ النور السافر ص ٢١.
(٢) البدر الطالع (٢/١٨٥).

٣ – الأختام وقد تقدم ذكرها في المقدمة.

٤ – التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة.

وقد أفردها في الجمع مشهور حسن سلمان، وأحمد الشقيرات في كتابهما مؤلفات السخاوي، وقد بلغ عدد المؤلفات فيه ٢٧٠ مؤلفا.

وفاته:

توفي رحمه الله في يوم الجمعة سابع عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وتسعمئة بالمدينة النبوية.

من مصادر الترجمة:

١ – الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٨/٢-٣٢)

٢ – تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص ١٨-٢٣)

٣ – الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/٥٣-٥٤)

٤ – نظم العقيان في أعيان الأعيان (ص١٥٢-١٥٣)

٥ – الأعلام (٦/١٩٤)

٦ – معجم المؤلفين (١٠/١٥٠)

٢- النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسختين:

الأولى: وهي من النسخ النفيسة، فقد كتبت بخط العلامة القسطلاني صاحب إرشاد الساري، وتلميذ الإمام السخاوي، وعليها خط وإجازة الإمام السخاوي له، والنسخة من محفوظات دار الكتب المصرية برقم (٣٢٩) حديث، وقد حصلت على نسخة من مصورتها في مكتبة الحرم المكي الشريف – مجموع رقم (١١٦٠) عام، وتقع في ١٣ ورقة، وفي كل ورقة وجهان، وفي كل وجه ٢٢ سطراوخطها نسخي مشرقي جيد، وتاريخ نسخها هو السابع والعشرون من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثمانمئة للهجرة كما جاء في آخرها، وقد اتخذت هذه النسخة الأصل، ورمزت لها بـ " أ ".

الثانية: نسخة نفيسة كذلك، وقد كتبت بخط تلميذ المصنف محمد بن إبراهيم البلبيسي، وقد خلت النسخة من خط المصنف ومن تاريخ النسخ، إلا أن الناسخ البلبيسي – رحمه الله – أثبت تاريخ النسخ في أثناء المجموع الذي تقع هذه النسخة فيه (ورقة ١٢٣)، وهو مؤرخ في السادس من ذي القعدة سنة ٩٠٧ هـ، أي بعد وفاة المصنف رحمه الله بخمس سنين، والنسخة من محفوظات مكتبة تشستربتي (دبلن/ إيرلندا)، رقم (٦/٣٤٠٠)، وتقع في (١٣) ورقة، وفي كل ورقة وجهان، وفي كل وجه (٢٥) سطرا، وقد كتبت بخط نسخي معتاد متصل الحروف نوعا ما، ورمزت لهذه النسخة بـ "ب".

ترجمة القسطلاني ناسخ الأصل:

هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، صاحب إرشاد الساري وغيره، ولد سنة ٨٥١هـ بمصر، من الملازمين للسخاوي، توفي سنة ٩٢٣هـ، ودفن بقرب الجامع الأزهر.(١)

ترجمة البلبيسي ناسخ النسخة " ب " من المخطوط:

البلبيسي هو شمس الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن مقبل البلبيسي القدسي الشافعي الخطيب الواعظ بدمشق، أحد تلامذة الإمام السخاوي، وكان صوفيا، وتوفي في رجب سنة ٩٣٧هـ.(٢)

وقد قام البلبيسي رحمه الله بكتابة مجموع فيه أجزاء وكتب(٣)، كتابنا هذا

---

(١) انظر الضوء اللامع (٢/١٠١)، والكواكب السائرة (١/٢٦).
(٢) انظر الضوء اللامع (٦/٢٨٦)، والشذرات لابن العماد (٨/ ٢٢٤).
(٣) وهي: ١ – المنتقى من كتاب هادي القلوب.
٢ – المنتقي من كتاب المنهل العذب.
٣ – الدرة النيرة من الرياض النضرة.
٤ – المنتقى من كتاب عدة الصابرين.
٥ – المنتقى من كتاب ابتلاء الأخبار.
٦ – تحفة السامع والقاري في ختم صحيح البخاري (وهو كتابنا هذا، انظر ص ك – اسم الكتاب).

من بينها، وقد أثبت اسمه على الورقة (١٢٣)، وهي الورقة الأخيرة من كتاب المنتقى من كتاب هادي القلوب.

إجازة المصنف السخاوي بخطه لناسخ الأصل القسطلاني

وهي مثبتة في آخر الكتاب، ونصها:

الحمد لله، و سلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد؛

فقد قرأ علي جميع هذا المجلس من تصنيفي كاتبه و صاحبه سيدي الشيخ الإمام، الحبر الهمام، العلامة البارع، مفيد الطالبين، قدوة المستفيدين، بقية السلف الصالحين، الشهاب أبو العباس القسطلاني المصري الشافعي، نفع الله به، و بلغه تمام إربه، في مجلسين ثانيهما في أواخر الشهر المذكور بمنزلي، وأجزت له روايته عني، وإفادته لمن التمس ذلك منه، وكذا أجزت له سائر مروياتي، ومؤلفاتي.

قاله وكتبه: محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي، غفر الله له ذنوبه، وستر عيوبه، وصلى الله على سيدنا محمد، وسلم تسليما كثيرا.

٣ – اسم الكتاب وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

(عمدة القاريء و السامع في ختم الصحيح الجامع)، كما جاء على طرة نسخة الأصل التي نيلت بخط المصنف، كذا جاء في النسخة الأخرى: (عمدة القارئ والسامع في ختم الصحيح الجامع، الملقب بتحفة السامع والقاريء في ختم صحيح البخاري).

فبين البلبيسي رحمه الله أن الاسم الأول هو الأصل، والثاني قد يكون مشهورا عند البعض، فلا تعارض، فقد يذكره البعض اختصارا، أو إشارة لمحتواه، ويكفينا ما اتفقت عليه النسختان اللتان بخط تلميذي الإمام المصنف، مع خط وإجازة المصنف على إحداهما.

توثيق نسبة الكتاب لمصنفه:

١ – وجود خط المصنف وإجازته في آخر الكتاب.

٢ – ذكره المصنف في كتبه الأخرى مثل: الضوء اللامع، انظر مثلا (١/٧٤) (٢/٨٦)، وانظر: غنية المحتاج له ص ٥٢ حيث قال: "وقد أوردت فيما جمعته عند ختم صحيح البخاري تقرير قول أبي علي النيسابوري".

٣ – ذكره عدد ممن ترجم له، كالكتاني في فهرس الفهارس (٢/٩٨٩)، والغزي في ديوان الإسلام (٣/٩٧-١٠٠).

٤ – مادة الكتاب العلمية:

هذا الكتاب على صغر حجمه شمل مباحث حديثية مهمة تعنى بالبخاري وصحيحه، ألخصها بما يلي:

١ – ذكر السخاوي شيئا من ترجمة الإمام البخاري.

٢ – تكلم على كتابه الجامع الصحيح، وذكر مزاياه.

٣ – وازن بين جامعي البخاري ومسلم.

٤ – وجه كلمة أبي علي النيسابوري في صحيح مسلم: " ماتحت أديم السماء في الحديث أصح من كتاب مسلم".

٥ – بين مذهب الإمام البخاري الفقهي.

٦ – ذكر قصة أهل بغداد مع البخاري، وعقب عليها ببيان حكم امتحان الرواة.

٧ – تكلم على حديث " كلمتان خفيفتان..." سندا ومتنا.

٨ – ذكر طرق الحديث، و بيّن غرابته، ومن أين اشتهر.

٩ – ذكر شيئا من ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه، راوي الحديث السابق.

١٠– قارن بين كثرة أحاديث أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

١١– بين مناسبة الختم بحديث "كلمتان خفيفتان.."، وذكر في ذلك فائدة لم يسبق إليها – كما أشار المصنف نفسه – وهي أن صحيح البخاري افتتح

بحديث غريب، وهو حديث عمر بن الخطاب ("إنما الأعمال بالنيات" ، فناسب ختمه بهذا الحديث لأنه غريب أيضا.

١٢- ختم الكتاب بكلام جامع عن شيخه الحافظ ابن حجر في بيان أن الحديث الأخير – غالبا – من كل كتاب من كتب الجامع الصحيح للبخاري فيه مناسبة الإشارة إلى ختم هذا الكتاب.

١٣- يستشهد المصنف على ما يذهب إليه بالأحاديث و الآثار، وقد يخرج بعضها، وقد يذكر كلام أهل العلم في الحكم عليها، وبيان معانيها.

٥ – منهج تحقيق الكتاب:

١ – مقابلة النسختين بعضهما ببعض.

٢ – وقد اتخذت النسخة " أ " هي الأصل.

٣ – وما خالف النسخة " أ " من النسخة " ب "، أو كان في الأصل ولم يكن في "ب " اثبته في الأصل و أشرت إلى ذلك في الهامش.

٤ – وما كان زيادة من النسخة "ب" ولم يكن في الأصل، فقد أثبته في الأصل بين معقوفتين [ ].

٥ – خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها.

٦ – جعلت تعليقي في الهامش مختصرا، مقتصرا فيه على ما ينفع القارئ، ولا يخل بمراد السخاوي من تصنيفه هذا، مع التأدب معه عند الحكم على الأحاديث والآثار الضعيفة والواهية التي يستشهد بها، وكذا فيما أعلق عليه كالمستدرك والمعقب.

٧ – ذيلت الكتاب بفهارس معينة للباحث.

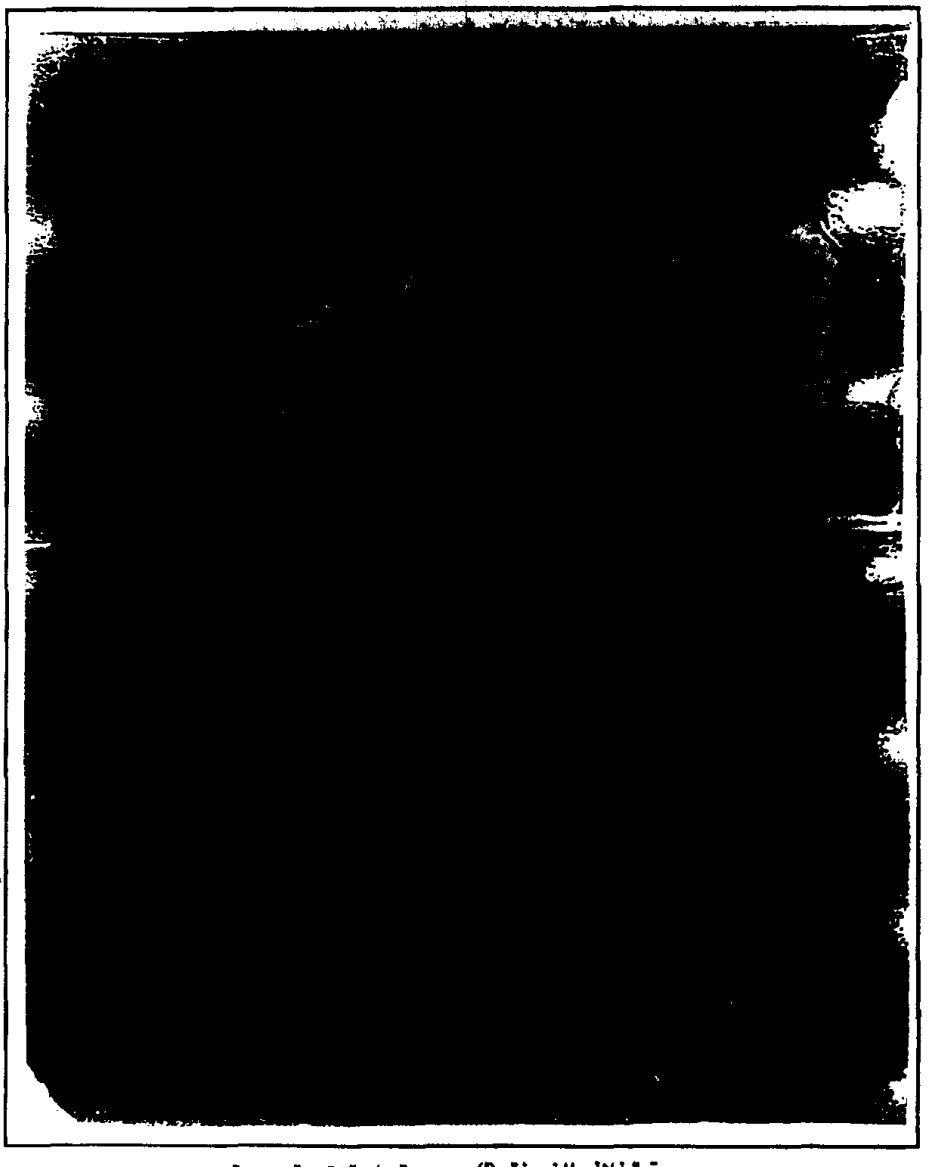

صورة الغلاف للنسخة (أ)، مصورة دار الكتب المصرية

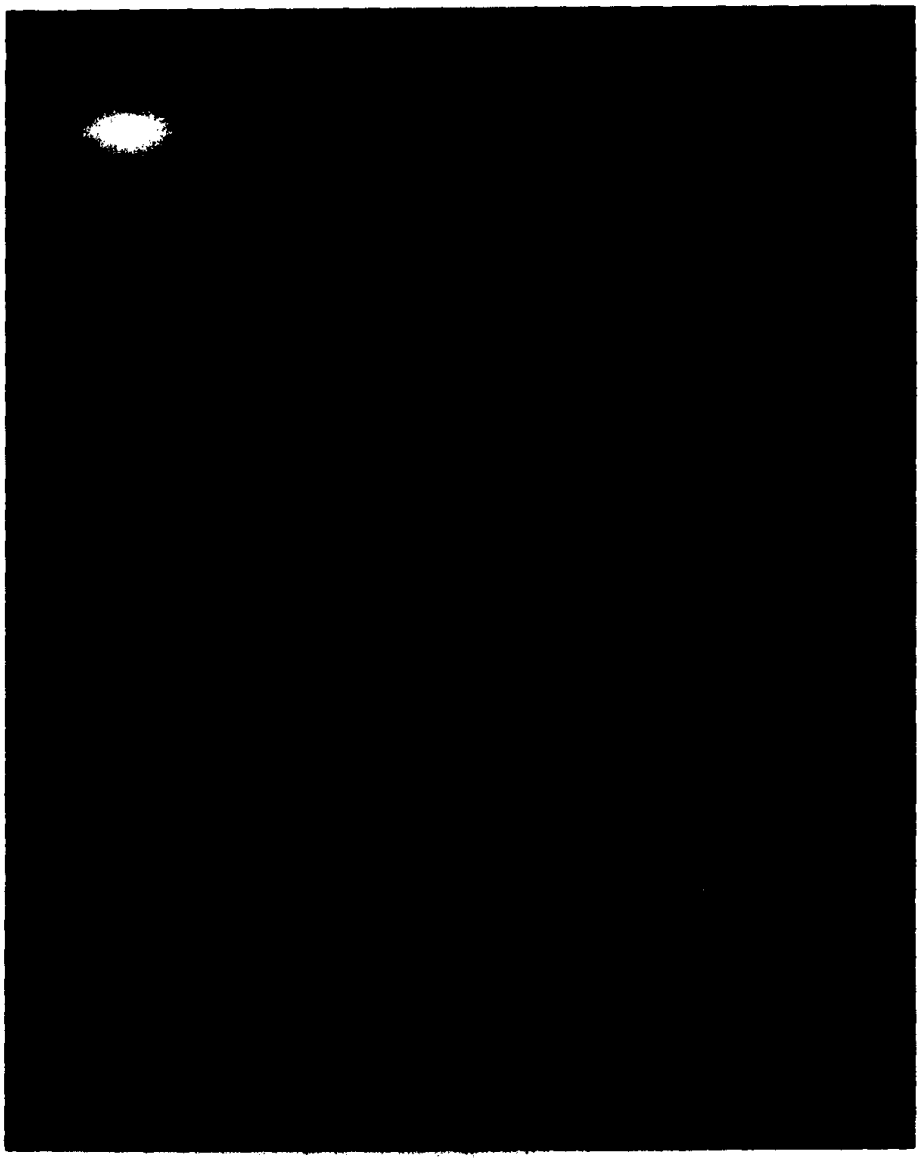

صورة الورقة الأولى من النسخة (أ)، مصورة دار الكتب المصرية

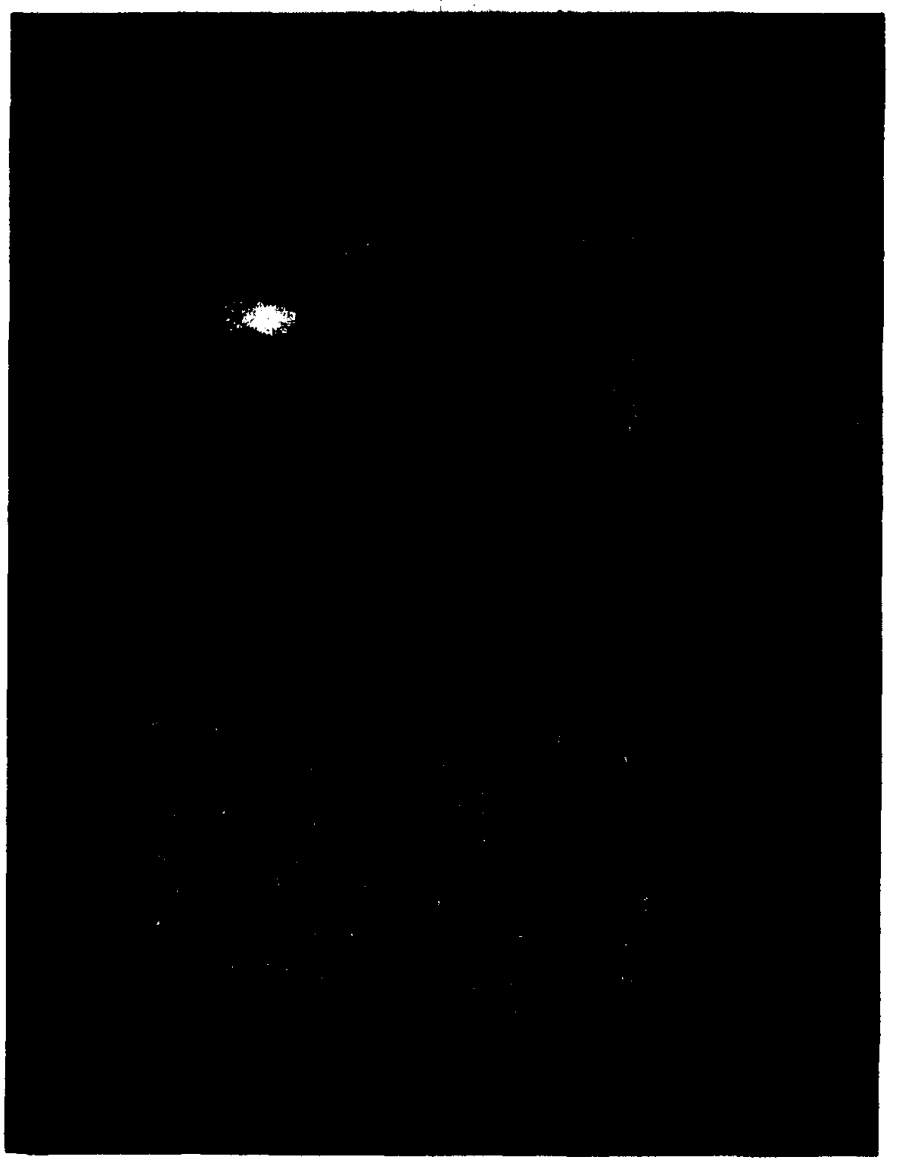

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (أ)، مصورة دار الكتب المصرية

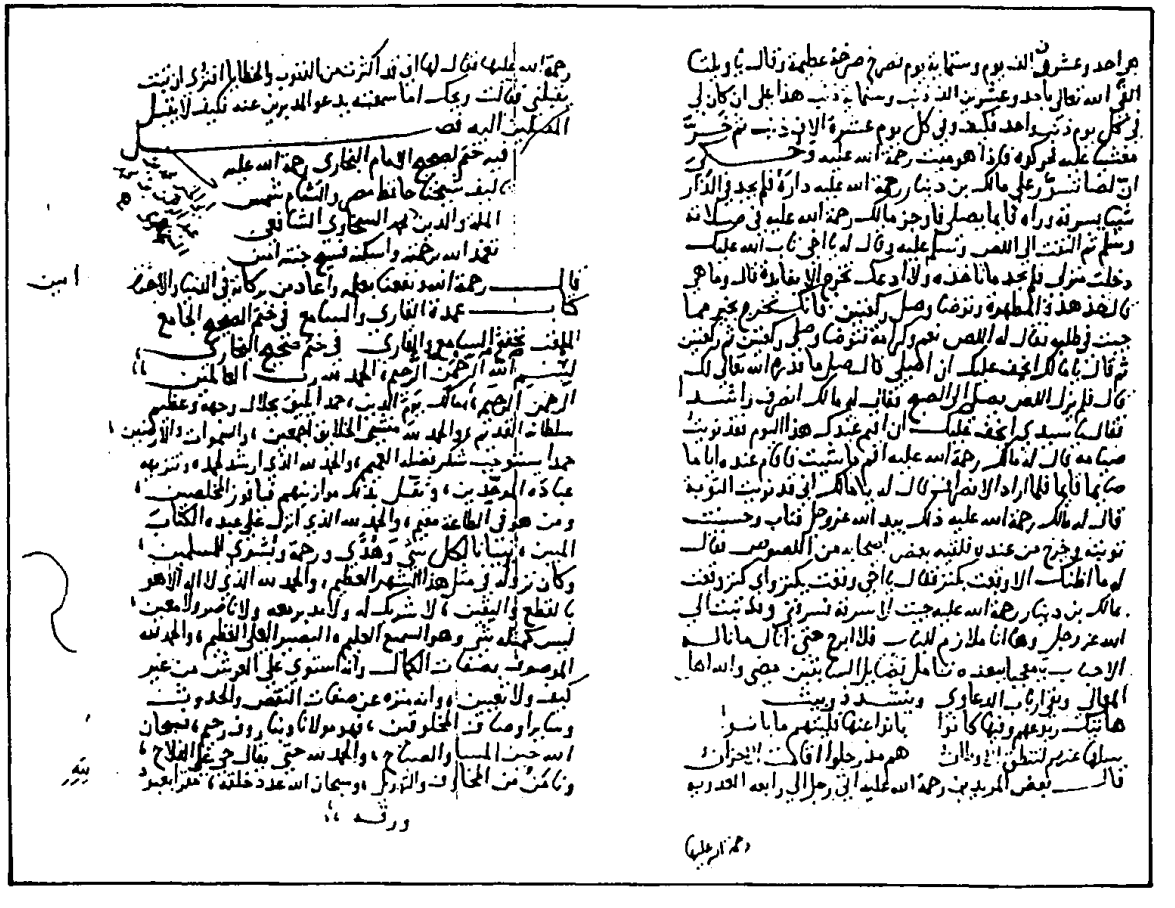

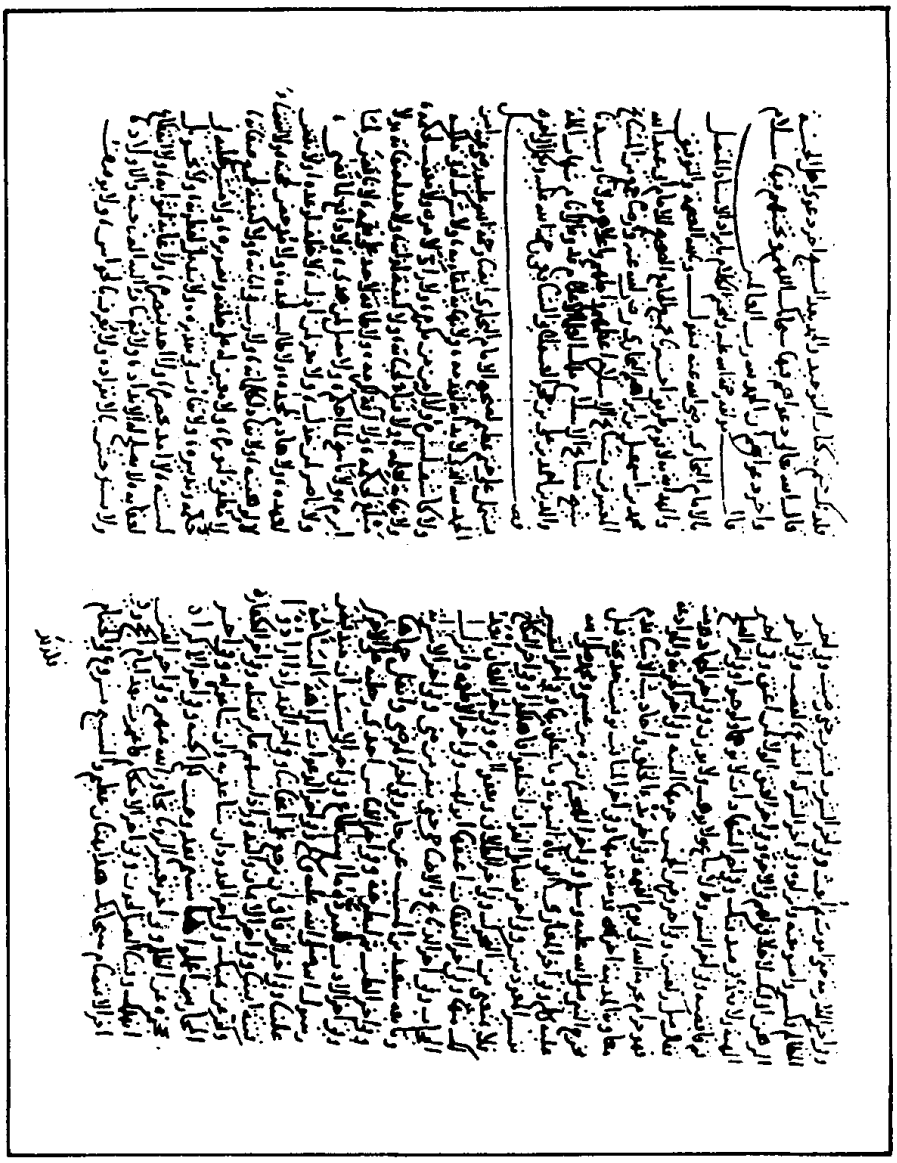

صورة الورقة الأخيرة من النسخة (ب)، مصورة مكتبة تشستربتي/إيرلندا

القسم الثاني:
نص الكتاب تحقيقه والتعليق عليه

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، حمداً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه القديم، والحمد لله منشيء الخلائق أجمعين، والسماوات والأرضين، حمداً يستوعب[1] شكر فضله العميم، والحمد لله الذي أرشد لحمده وتنزيهه عباده الموحّدين، ويثقل[2] بذلك موازينهم، فيا فوز المخلصين، ومن هو في الطاعة مقيم، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب المبين، تبياناً لكلّ شيء، وهدى و رحمة وبشرى للمسلمين، وكان نزوله في [مثل] هذا الشهر العظيم، والحمد لله الذي لا إله إلاّ هو بالقطع واليقين، لا شريك له، ولا مدبّر معه، ولا ناصر ولا معين، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، [البصير العليّ العظيم] والحمد لله الموصوف بكل كمال[3]، وأنه استوى على العرش من غير كيف ولا تعيين[4]، وأنه مُنَزَّهٌ عن صفات النقص والحدوث، وسائر أوصاف المخلوقين، فهو مولانا وبنا رؤوف رحيم، فسبحان الله حين المساء والصباح، والحمد لله حتى يقال: حيّ على الفلاح، ونأمن من المخاوف والتهويل، وسبحان الله عدد خلقه، مُقِراً بعبوديته ورقّه، معترفاً بالعجز عن شكر ما أولانا من جميل، وسبحان الله رضا نفسه، راجياً بلوغَ مرتبةِ ذاكرِهِ في يومه و أمسِهِ، موقناً بأنه لا ضد له، ولا معاند ولا مثيل، وسبحان الله زنة عرشه، مستغفراً

---

(١) في ب: يستوجب.

(٢) في ب: ثقل.

(٣) في ب: بصفات الكمال

(٤) استواء الله عز وجل على العرش دليل على علوه على جميع خلقه، بائن منهم، رقيب عليهم، يعلم ما هم عليه، قد أحاط بكل شيء علما، لا تخفى عليه منهم خافية، وهو سبحانه مستغن عن العرش، لم يستو على العرش لاحتياجه إليه، بل لحكمة بالغة قضاها، بل العرش محمول بقدرته وسلطانه، سبحانه وتعالى. (انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ٢/ ٣٧٢)